

أحاديث رمضان ١٤٣٦ – درر – الحلقة التاسعة عشرة : العدل .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٥-٠٧-٠٦ .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ بلال :

عليك بالعدل إن وُئيت مملكة واحذر من الجورِ فيها غايةَ الحذر
فالملك يبقى على عدل الكفور ولا يبقى مع الجورِ في بدو ولا حضر

العدل أساس الملك ، العدل درة من
درر الشريعة التي سنتناولها بالبحث
وبالتفصيل في لقائنا معكم في برنامجكم
درر ، فاهلوا بنا نلتقط هذه الدرة من
بحر الشريعة الزاخر لعنا نتعلم العدل
من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى
الله عليه وسلم .



بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله
وأصحابه أجمعين .

أخوتي المشاهدين أينما كنتم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، و أسعد الله أوقاتكم بالخير واليمن
والبركات والطاعات ، وإلى حلقة جديدة ومع درة جديدة من درر الشريعة ، اسمحوا لي في
مستهلها أن أرحب بفضيلة أستاذنا فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، مرحباً بكم سيدي .

الدكتور راتب :

بارك الله بكم ونفع بكم .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم نحن نتحدث اليوم عن درة العدل ، والعدل من درر الشريعة الغراء والله تعالى
يقول :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾

[سورة النحل: ٩٠]

وفي تاريخنا الإسلامي من العدل ما فيه لا سيما عدل عمر رضي الله عنه وأرضاه ، لو بدأنا سيدي نتحدث عن العدل كيف كان واقعاً في تاريخنا الإسلامي لو تفضلتم ؟

العدل جزء من العمل :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، وارضَ عنَّا وعنهم يا ربَّ العالمين .



ننطلق في مستهل هذا اللقاء الطيب من علة وجود الإنسان في الأرض ، قال تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

[سورة الذاريات الآية : ٥٦]

والعبادة في أدق تعاريفها ، هي طاعة طوعية ليست قسرية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، أساسها معرفة يقينية ، تقضي

إلى سعادة أبدية ، هناك جانب معرفي ، جانب سلوكي ، جانب جمالي ، المعرفي هو السبب ، والسلوكي هو الأصل ، والجمالي هو النتيجة ، من هذه الأوامر الإلهية التي جاء بها القرآن الكريم قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾

[سورة النحل: ٩٠]

فأي أمر في القرآن يقتضي الوجوب ، الأوامر لا تعد ولا تحصى ، أي أمر في كتاب الله بل وفي سنة رسوله يقتضي الوجوب لهذا الإنسان الذي هو المخلوق الأول ، والذي خلق لجنة عرضها السموات والأرض ، وجاء الله به إلى الدنيا كي يعبد ، أي كي يطيعه في شؤون حياته كلها ، فإذا أطاعه استحق جنة ربه إذاً :

﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

[سورة النحل: ٣٢]

والعدل جزء من العمل .

الأستاذ بلال :

بارك الله بكم أستاذنا الكريم ، العدل كان واقعاً في حياة المسلمين حتى انتشرت سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الآفاق ، لو تكرمتم بلقطة من لقطات عدل عمر رضي الله عنه .

لقطة من لقطات عدل عمر رضي الله عنه :

الدكتور راتب :

سيدنا عمر هو الخليفة الراشد الثاني ، وكان مضرب المثل بالعدل والتواضع ، والعدل والرحمة ، يبدو أن ملكاً من ملوك الغساسنة اسمه جبلة بن الأيهم جاءه مسلماً ، طبعاً سيدنا عمر رحب به أشدّ الترحيب ، لأنه حينما يسلم إنسان من عليّة القوم له أثر إيجابي في إسلامه ، فرحب به ترحيباً شديداً ، و في أثناء الطواف حول الكعبة ، أعرابي من عامة الناس بالتعبير المعاصر من سوقة الناس ، من دهمائهم ، داس طرف ردائه ، عن غير قصد ، فانخلع رداؤه عن كتفه ، ولأنه ملك ، التفت إلى هذا الأعرابي الضعيف ، وضربه ضربة هشمت أنفه ، وما كان من هذا الأعرابي وهو من قبيلة فزارة إلا أن توجه إلى سيدنا عمر وشكا ملك الغساسنة، سيدنا عمر عملاق الإسلام

رمز من رموز العدل استدعى جبلة ،
شاعر معاصر صاغ الحوار الذي دار
بين سيدنا عمر وبين جبلة ، سيدنا عمر
خاطب جبلة الملك الغساني قال :
أصحيح ما ادعى هذا الفزاري الجريح
؟ قال جبلة : لست ممن ينكر شيئاً - أي
شيئاً مراعاة للوزن - أنا أدبت الفتى ،
أدركت حقي بيدي . فقال عمر : أرض
الفتى ، لا بد من إرضائه ، مازال



ظفرك عالقا بدمائه أو يهشمن الآن أنفك ، و تتال ما فعلته كفك . كأن بجبلة صعق ، قال : كيف ذلك يا أمير ؟ هو سوقة أي من عامة الناس من دهمائهم ، وأنا عرش وتاج ؟ كيف ترضى أن يخرنجم أرضاً ؟ فقال عمر : نزوات الجاهلية ، ورياح العنجهية قد دفناها ، أقمنا فوقها صرحاً جديداً ، وتساوى الناس أحراراً لدينا وعبيداً . هذا هو الإسلام ، فقال جبلة : كان وهماً ما جرى في خلدي أنني عندك أقوى وأعز ، أنا مرتد إذا أكرهتني . سيدنا عمر مباشرة قال : عنق المرتد بالسيف تحز ، عالم نبييه ، كل صدع فيه يداوى ، وأعز الناس بالعبد بالصلعوك تساوى . هذه ومضة أو لقطة إن صح التعبير من ومضات عدل عمر ، والعدل أساس الملك.

الأستاذ بلال :

بارك الله بكم أستاذنا الكريم ، الحقيقة سيدي عندما نقرأ قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾

[سورة النحل: ٩٠]

يلفت نظرنا أن الله قرن العدل بالإحسان ، هل تحل كل الأمور بالعدل أم أن الإحسان شيء آخر ؟

الفرق بين العدل و الإحسان :

الدكتور راتب :

الإحسان أوسع من العدل ، لو أن سائقاً من دون خطأ من قيادته قفز طفل أمام سيارته وصار هناك إصابة



طبعاً يوجد قوانين نافذة ، لكن هذا السائق بشهادات من رأى الحادث لم يخطئ إطلاقاً ، يمشي بأقل سرعة ممكنة ، والطفل قفز أمامه ، فوالد هذا الطفل لو عفا عنه ، العفو له مكانة كبيرة جداً :

﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ ﴾

[سورة الشورى : ٤٠]

حينما يتيقن صاحب الحق أن عفوهُ عن

هذا الإنسان يقربه من الله ، هذا السائق لم يخطئ لكن الحادث وقع ، ودائماً القانون يتجه إلى السائق ليعاقبه ، مهما كانت الظروف ، فهذا حينما ينصفه ويعفو عنه أو يسقط حقه الشخصي ماذا فعل مع هذا السائق ؟ أنعشه ، لذلك العدل أحياناً يرتقي إلى مستوى الواجب ، الإحسان طوعي ، العدل واجب ، قسري :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾

[سورة النحل: ٩٠]

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم وفي آية أخرى وصف الله جل جلاله كلمته بأنها كلمة عدل ، والعدل من صفات الله ، قال تعالى :

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾

[سورة الأنعام: ١١٥]

كيف نفهم هذه الآية ؟

الإيجاز المعجز في الآية الكريمة : وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا :

الدكتور راتب :

الحقيقة أحرار في تفسيرها ، واسعة جداً ، كأن الله يقول : يا عبادي ! بيني وبينكم كلمتان ، أي كلمتان تحكم العلاقة بيني وبينكم ، إنهما الصدق والعدل ، تتفاوتون عندي بصدقكم في طلب الطاعة والحقيقة ، وأنا أعدل بينكم :

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾

[سورة الأنعام: ١١٥]

هذه الآية فيها إيجاز وإيجاز معجز ، علاقة الله معنا تتسم بالعدل والصدق ، تتفاوت عنده بالصدق وهو يعدل بيننا ، هذا معنى .

هناك معنى آخر ؛ هذا القرآن الذي أنزل على رسول الله عليه أتم الصلاة



العدل والصدق هما أساس علاقتنا مع الله

والتسليم من دفته إلى دفته لا يزيد عن أمر وخبر ، فالخبر صادق والأمر عادل ، هذه من الصفات الجامعة المانعة لكتاب الله :

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾

[سورة الأنعام: ١١٥]

المعنى الأول جمعت العلاقة الإلهية للبشر بكلمتين ، المعنى الثاني جمع القرآن كخصائص بكلمتين الصدق والعدل .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم إذاً العدل صفة من صفات الله عز وجل ، هل نستطيع أن نفهم عدل الله بعقولنا ؟

الإيمان بعدل الله من إخبار الله لنا :

الدكتور راتب :

والله بحالة واحدة ممكن ، أن يكون لنا علم كعلمه ، وهذا مستحيل ، لذلك لا بد من التسليم ، عدل الله عز وجل نفهمه بإخبار الله لنا ، هذا الكون يشهد بعظمة الله ، يشهد بكمال الله ، يشهد بعدل الله ، يشهد برحمة الله



فهذا الكون الذي دلنا على الله ، والإله العظيم كما يقال كمال الخلق يدل على كمال التصرف ، لا يعقل هذا الكون المعجز أن يكون الذي خلقه غير عادل، إذاً كمال الخلق يدل على كمال التصرف ، ومن كمال التصرف العدل، إلا أن نفهم عدل الله بعقولنا هذا شيء شبه مستحيل ، لأن عقلنا لا يحيط بالله عز وجل ، أنا أقول كلمة دقيقة : أنا قد

أصل بعقلي إلى الله لكن لا أحيط ، أنا قد أصل بمركبتي إلى ساحل البحر لكن لن أستطيع أن أخوض بها البحر ، فالإيمان بعدل الله من إخبار الله لنا ، وهذا الكون العظيم خلقه إله عظيم ، الإله العظيم أخباره كلها صادقة ، إذاً :

﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾

[سورة الكهف : ٤٩]

الأستاذ بلال :

هذا إخبار الله لنا أنه لا يظلم أحداً .

الدكتور راتب :

لكن نظن بالله ظناً حسناً دائماً .

الأستاذ بلال :

لو رأينا ما يحدث في العالم من مجاعات وفقر ومرض وحروب ، نوقن بأن الله عز وجل له حكمة في ذلك ، ربما تخفى علينا .

الجنة هي العطاء المطلق للإنسان المؤمن :

الدكتور راتب :

لكن هناك مداخلة ثانية في هذا الموضوع بالذات ، أنت حينما تؤمن أن الله خلق الإنسان أي إنسان لجنة عرضها السموات والأرض ، هذه الجنة فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر

هذه الجنة هي العطاء المطلق للإنسان المؤمن ، فحينما يسوق الله له بعض الشدائد في الدنيا كي يدفعه إلى باب الجنة ، حينما تنكشف الحقائق يذوب الناس جميعاً محبةً لله عز وجل ، حينما رأوا أن كل ما ساقه الله لهم محض رحمة وعدل ، فالحقائق تكشف يوم القيامة ، وقيل في بعض الآثار ادخر سرّ القضاء والقدر إلى يوم القيامة ،



لذلك :

﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

[سورة يونس: ١٠]

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم هناك عدل وهناك مساواة ، هل العدل هو المساواة ؟ أي أنا عندي ولدان أسوي بينهما في القبل كما ورد في الأحاديث الشريفة ، لكن قد يكون عندي ولد في الجامعة وآخر صغير فأعطي الأول ما لا أعطيه للثاني ، أي هل العدل يعني المساواة ؟

العدل لا يعني المساواة :

الدكتور راتب :

لا يعني المساواة ، يعني أن تعطيه ما يحتاجه



أنت عدلت معه أعطيته حاجته ، طفل صغير في الحضانة أعطيه مبلغاً من المال بسيطاً أو بعض الأكلات التي يحبها أما الابن الذي في الجامعة فيحتاج إلى أقساط ، إلى أجور طريق ، إلى ثمن كتب ، فهناك نفقات كبيرة جداً ، ليس من العدل ان أسوي بين هذا الطفل الصغير وبين طالب الجامعة .
الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم هل هناك عدل لا يملكه الإنسان ؟ أي هل يستطيع الإنسان أن يحيط بالعدل أي أن يصبح عادلاً بشكل مطلق أم العدل المطلق من شأن الله عز وجل ؟

العدل المطلق من شأن الله عز وجل :

الدكتور راتب :

العدل المطلق من شأن الله عز وجل وحده ، لكن الإنسان يعدل بقدر استطاعته ، مثلاً أنا عندي أولاد ، أنا أسوي بينهم في القبل ، في العطاء ، في الود ، حتى في الضم ، لكن قد يكون أحد الأولاد متألقاً تألقاً عقلياً أكثر من الثاني فأنا أميل إليه بقلبي ، النبي صلى الله عليه وسلم وضع قاعدة لهذا الميل :

((اللهم هذا قَسَمِي فيما أملك . فلا تَلْمَنِي فيما تَمَكُّ ولا أَمَلِك))

[أبو داود والترمذي والنسائي عن عائشة أم المؤمنين]

إنسان عنده زوجتان مثلاً يعدل بينهما عدلاً تاماً في الوقت وفي الإنفاق وفي كل شيء لكن لا يملك قلبه ، قد يميل للأقرب إلى الله ، قد يميل للأكثر إيماناً، قد يميل للأكثر حكمة وحنكة في تعاملها معه :

((اللهم هذا قَسَمِي فيما أملك . فلا

تَلْمَنِي فيما تَمَكُّ ولا أَمَلِك))

[أبو داود والترمذي والنسائي عن عائشة أم المؤمنين]



عدل الإنسان بقدر استطاعته لأن العدل المطلق لله وحده

الأستاذ بلال :

المفروض من الإنسان أن يبذل كل جهد ممكن في تحقيق العدل ممكن أن نسميه: العدل النسبي.

الدكتور راتب :

والآية تقول :

﴿لَا يَكْفِيُ اللَّهُ نَفْسًا لَنَا وَسِعَهَا﴾

[سورة البقرة: ٢٨٦]

هناك شيء فوق طاقة الإنسان .

الأستاذ بلال :

جزاكم الله خيراً أستاذنا الكريم . في حديث النبي صلى الله عليه وسلم :

((.....وَلَعَلَّ بَعْضُكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا بِقَوْلِهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلَا يَأْخُذْهَا))

[متفق عليه عن أم سلمة]

قد يكون هذا الحديث ملمحاً يتعلق بالعدل .

علاقة الإنسان بالعدل مع الله فقط :

الدكتور راتب :

والله شيء دقيق دقيق بارك الله بك على هذا السؤال ، هل هناك فتوى أدق وأصح من أن تنتزع أيها المؤمن من فم سيد الخلق وحبیب الحق فتوى لصالحك ؟ وإن لم تكن محقاً لا تنجو من عذاب الله :

((.....وَلَعَلَّ بَعْضُكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا بِقَوْلِهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلَا يَأْخُذْهَا))

[متفق عليه عن أم سلمة]



علاقتك بالعدل مع الله فقط ، أي لو استطعت أن تنتزع من فم رسول الله فتوى لصالحك ولم تكن محقاً والنبي قال ذلك :

((.....وَلَعَلَّ بَعْضُكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا بِقَوْلِهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلَا يَأْخُذْهَا))

[متفق عليه عن أم سلمة]

الأستاذ بلال :

يا سيدي هؤلاء الذين يقولون : انتزعنا حقنا بالقانون وقضى لنا القاضي لا ينجو من عذاب الله .
الدكتور راتب :

هذا القانون ينفع في الدنيا ولا ينفع في الآخرة .

الأستاذ بلال :

جزاكم الله خيراً وأحسن إليكم ، أستاذنا الكريم في نهاية هذا اللقاء الطيب أسأل الله عز وجل أن يمكننا من أن نقيم العدل الذي نستطيعه في بيوتنا وأسرنا وجزاكم الله خيراً .

العدل أساس الملك :

الدكتور راتب :

والعدل أساس الملك ، أن تملك أسرتك بالعدل ، أن تملك موظفينك بالعدل ، أن تملك الشعب بالعدل .

خاتمة و توديع :

الأستاذ بلال :

كله بالعدل جزاكم الله خيراً ، وأحسن إليكم ، وأنتم أخوتي المشاهدين لم يبق لي إلا أن أشكر لكم حسن متابعتكم ، راجياً الله أن نلتقيكم في لقاء آخر ، ودرة أخرى من درر الشريعة الغراء ، وحتى ذلك الوقت أستودع الله دينكم وأمانتكم وخواتم أعمالكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله رب العالمين